

المرجعية الحضارية لثورة أول نوفمبر 1954

وإشكالية المفهومية بعد الاستقلال...

أ. ربيع معياوي

جامعة عنابة

إن ثورة الجزائر في حقيقتها العليا أصيلة في تاريخ الإنسانية الطويل وقبسة نورانية من الإسلام، ونفحة علوية من أرواح الفاتحين الأولين: وأن أعمال المجاهدين الجزائريين أعمال وصلت أمجاداً في الآخرين بأمجادهم في الأولين. وأن موقف المجتمع الجزائري في هذه الثورة كلها حسنات ذهبت بسيئات بعض الجزائريين والعرب، وكفرت عن جميع ما اقترفوه من ذنوب في جنب الإسلام، وأن التعاون الذي ظهر بين أبناء المجتمع الواحد في هذه الثورة هو التفسير الصحيح لكلمة الأخوة في الإسلام. وفصل القول أن الثورة التحريرية 1954 فصل غريب في تاريخ الإنسانية قرأ قبل أن يُكتب وفُهم قبل أن يتم.

وكان بعد أن كُتب بابا ممتازا في تاريخ الثورة التحريرية وهما لكثير من النظريات السالفة في حياة الشعوب.

مبدئية الإيمان:

وقد أثبت واقع الثورة التحريرية أول نوفمبر 1954 أن شرطي الإيمان والوسيلة لم يكونا متلازمين في الوجود الفعلي عند البداية؟ فالإيمان قد سبق الوسيلة وهو الذي أوجدها لتحقيق الأهداف الحضارية للثورة، فقد تمّ التنظير للثورة مبدأ ووسيلة، ولكن أين الوسيلة؟...

فكان الإنسان الجزائري مؤمنا بمبدأ الجهاد وحده هو السلاح المعنوي الذي تحطمت أمامه آليات الاستعمار الفكري والمادي، المالك لأحدث الأسلحة التكنولوجية....

وقد تجسد في هذه الحالة أعظم صراع بين الروح والمادة وبين الشر والحرية، ذلك أنه إذا كان الإنسان الثائر المؤمن يتحرك ويحارب بدون سلاح، فإن السلاح لا يتحرك إلاّ بإنسان مؤمن بفكرة، وإذا كانت

القوة المادية الاستعمارية تملك القدرة على أسر الأبدان فإنها عاجزة على التحكم في روح الإنسان. فكان الارتباط الروحي بالعالم العلوي لدى الشهيد هو الذي جعله يحارب الدبابة والطائرة ويقتحم القواعد المحصنة الاستعمارية ببنادق الصيد، وهو الذي اقتنع بالاستشهاد تحت التعذيب دون أن يحصل منه العدو على أية كلمة سر.

وهذا المبدأ الإيماني هو الذي جعل الأم الجزائرية ذات العاطفة الجياشة تزغرد أمام جنود الاحتلال على وحيدها الذي أوتي به شهيدا مخضبا بدمائه... تعبيرا عن سعادتها بمشاركته للثورة.

ما وراء العمل النفسي:

إن أوروبا الاستعمارية (فرنسا) التي احتكرت القوة طيلة قرن وربع قرن يتبناها القلق قديما وحديثا ورفضها بأن تقبل بالاستقامة مظهرا منطقيا، ضمن هذا الإنكار تصنف الحرب النفسية الفرنسية على المجتمع الجزائري.

إن الصراع مع الظاهرة الاستعمارية والقابلية للاستعمار يجد مصيره
عموما في الاتجاه نحو تصفية القابلية للاستعمار. كما كان مصدره
أمس في الاستعمار نفسه فهو إذن ليس بجديد.

لقد عرّف المؤرخ غوتيه الاستعمار الفرنسي في الجزائر بقوله: "لقد
حاولنا نحن الفرنسيين في الجزائر أن نحول إلى بلد غربي زاوية من
الشرق".¹

أما موقفنا نحن فنقول أن فرنسا أرادت المجتمع الجزائري أن تحوله
إلى بلد أوروبي، إن هذا الواقع التاريخي المرجعي فيبقى في تاريخ
الذاكرة الجزائرية حقيقة ثابتة ودائمة في أذهان المجتمع الجزائري، وقد
حاول الاستعمار تحويل المجتمع الجزائري عن الإسلام واللغة والتاريخ
والجغرافيا، حيث كانت جميع محاولات الاستعمار منصرفة في هذا
السبيل طيلة قرن وربع قرن من الاستبداد الاستعماري، وقد تغيرت
النظم السياسية في فرنسا ولكن فرنسا لم تغير في الجزائر قديما وحديثا
من هدفها ونظامها.

¹ — الرئيس فرحات عباس: الثورة الجزائرية "ليل الاستعمار"، الشركة القومية للتوزيع، ط1، دمشق
سوريا، 1964، ص 21-22-23-24-28.

عن هذا النظام الذي يتفرع عن نظام الاستيطان والتوطين الاستعماري الفرنسي في الجزائر.

س1: السؤال المطروح: كيف كان يسير هذا النظام وما هي آلياته الفكرية القانونية؟ وما هي نتائجه؟...

لم يكتف المستعمر باستخدام قوة الإبادة وجعلها حقا لفرنسا، فقد أراد أن ينسب لنفسه وجدانا طيبا قديما وحديثا... ويصبغ صفة من الشرعية على احتلاله للجزائر، فقد دَعَمَ مقولاته الفلسفية في هذا الميدان استعمار استيطاني روحي بعد أن استتبّ الاحتلال العسكري ظاهريا، وقد أعلنت الجزائر أرضا خالية من السكان، كما أعلن أن جغرافية الجزائر الحضارية النفسية لا وجود لها أمام ظاهرة الاستيطان الفرنسي في الجزائر.

إن الاستعمار ينكر أن يكون قد سبق للمجتمع الجزائري وجود وطني في الوقت الذي يعترف فيه جميع قادة حملات الاحتلال الاستيطاني بأنهم وجودوا في مواجهتهم في الجزائر شعبا شجاعا، قوي

الشكيمة، كان يدافع عن حضارة إسلامية عربية عريقة (حضارة القرآن الكريم).

إنه ينكر أنه سجن شعباً بأرومته خلال قرن وربع قرن معتبرا لغته ودينه وتاريخه وجغرافيته محرمة عليه، أي نوع من الحرية المدنية والسياسية مناهضا بشكل منتظم لأي تقدم يمكن أن تحققه الحضارة الإسلامية العربية، وقد حوّل الاستعمار المجتمع الجزائري إلى أشخاص من رماد، كما جعل من هؤلاء الأشخاص فئات من الخارجين عن القانون منفيين في الجزائر بالذات، وقد دفع الاستعمار هؤلاء الأشخاص وهم مكبلون بالبؤس والجهل والاستغلال من قبل المستوطنين المهاجرين الأوروبيين عن طريق قوانين استعمارية استثنائية الامتيازات العنصرية عند هؤلاء وأنه تنكر لحقوق الإنسان وعدم احترامه للذاتية الإنسانية.

لقد صفّق العالم بأجمعه عندما حرر الجيش الفرنسي في عامي 1918-1954 الألزاس واللورين، وكذلك صفّق العالم عندما بُعثت بولونيا أمة حرة بمعونة الحلفاء، لكن لماذا لا يصفّق هذا العالم نفسه عندما

تحررت الجزائر من الاستعمار الفرنسي؟... فالجزائر هي أيضا أُلزاس أخرى ولكنها أُلزاس العالم الإسلامي العربي إنها بولونيا القارة الإفريقية... وهو السؤال المطروح منذ 130 عاما لم يستطيع الاستعمار الإجابة عنه بموضوعية (الجيش الفرنسي والسلطة الفرنسية) ولا الجمهورية والحكم البرلماني الفرنسي؟...

ألا يحق للإنسان الجزائري بصفته مسلما عربيا أي بصفته وريثا ومبدعا للحضارة الإسلامية العربية وهو يدافع عن حرية هذا الوطن؟... وفي أثناء الثورة التحريرية 1954 كان الضباط الفرنسيين المكلفين بأعمال القمع النفسانية حيث اقتبسوا أساليبهم من الفاشية مدعومة بعنصرية عرقية عريقة استيطانية، حيث كان المجتمع الجزائري تحت طائلة التعذيب والإبادة والجوع والإهانة، كل هذه الأعمال بالنسبة للعمل النفساني الاستعماري، كما هو جميع الادعاءات بالنسبة للحقيقة المجردة.

إن القمع الاستعماري الاستيطاني هو نقيض العمل النفساني وأن ما يفعله الأول يدمره الثاني، وهكذا كان الجيش الاستعماري يهتئ نهائيا

للفصل بين الجزائر وفرنسا، وهنا نجد أن القوة لا ترثها إلا قوة أخرى، ولا يمكن قتل فكرة (كما يقتل الشخص) فكلما ازدادت هيمنة الاستعمار في الجزائر كلما كان يتأكد للجزائريين أن خلاصهم يتعلق بالثورة والكفاح المسلح، وأن جيش التحرير الوطني المنبثق عن الشعب الجزائري هو الضمانة الوحيدة للحرية والاستقلال، وأن كل شعب لا يرفع هامته ورايته عالياً ويتخلى عن معركة الشرف ويرضى بالمهانة والاحتقار، ذلك هو الدرس الذي تمّ تلقينه لفرنسا الاستعمارية ولأوروبا المعتدية الغازية.

لقد وقع الاستعمار اليوم في الهوة التي حفرها وأن خطأه هو الذي يجره إلى هلاكه. إنه قد قصّر اعتقاده على القوة الوحشية، يرى نفسه الآن وقد فقد القوة التي انعكست ضده، أين هي البذور التي بذرها والتي يمكن أن تجعله يأمل بحصاد مشروع الاستعمار؟... لقد زرع الحقد الدفين والازدراء، وماذا تراه يحصد غير الحقد والازدراء.

يقول الأستاذ البشير الإبراهيمي: "إن ثورة الجزائر قد شبت عن طوق الأقوال، وأصبحت في مرحلة لا غناء فيها للخطب وإن طالت،

ولا للأقلام وإن صالت وجالت، وإنما الغناء فيها للإيمان الثابت،
بظاهرة العمل الصامت".¹

إن هذه المقولة البليغة المعبرة عن حقيقة ثورة أول نوفمبر 1954 وأصالتها وامتداد جذورها في أعماق تاريخ الأمة العربية الإسلامية وبعدها الحضاري المتميز، وفي منظور مالك بن نبي أن فكرة الحضارة هو ذلك التفاعل الخلاق ما بين الإنسان ورسالة السماء المتولدة عن هذا التفاعل، لأن أزمنا اليوم هي أزمة تفاعل مع مبادئ ثورة أول نوفمبر 1954، والتي وهن تفاعلنا معها فتوقف واقع الحياة وكان من نتيجة هذا التوقف هوة سحيقة تفصلنا اليوم عن مبدئية الثورة. والتوقف عن مرحلة معينة من التاريخ لا يحلّ المشكلة بل يزيدّها تعقيدا، لأنه يفقد قدرتها على التفاعل مع مستجدات العصر، وينقطع عليها التاريخ لمستقبل.

يقول مالك بن نبي: "إن مشكلة كل شعب في جوهرها هي مشكلة حضارة، ولا يمكن لشعب أن يفهم مشكلته ما لم يرتفع بفكره إلى

¹ — الأستاذ البشير الإبراهيمي: صحيفة المقاومة الجزائرية، حزب جبهة التحرير الوطني، عدد 32، المؤرخ في 01 جوان 1957، تونس.

مستوى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارة أو تهدمها¹.

إن الإنسان الجزائري يحمل في حاضره روح ماضيه وبذلك يستطيع أن يبني هذا الحاضر وأن يدرك ما فيه من جوانب إيجابية وأخرى سلبية، وأن يتلمح خطوط القوى على حدّ تعبير الفيزياء... إنها مهمة شاقة ولكنها ضرورية بالنسبة لمعرفة ذات المجتمع، ذلك هو التحدي الحضاري الذي يواجهنا اليوم... "و هل نحيا حاضرنّا أم حاضر الغرب الأوروبي الذي يفرض نفسه كذلك وبالتالي كأساس لكل مستقبل الشيء الذي جعل أثره ينسحب على الحاضر الذي يحياه الغرب، فنقرأه قراءة مرجعية أوروبية استشراقية، ولذلك فهو لا يرى إلّا ما يراه الأوروبي"².

مسألة الحرية وإشكالية المفهومية

إن المجتمع الجزائري أمام مسألة الحرية وإشكالية المفهومية، فليس ثمة حرية واحدة وليس ثمة مشكلة واحدة، بل مشكلات، أن الإنسان

¹ — مالك بن نبي: شروط النهضة، دار الفكر، 1984، ص 16.

² — الدكتور عابد الجابري: نحن والتراث، قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، ط1، دار الطليعة بيروت، 1980، ص2.

الجزائري منتم إلى حضارة عربية إسلامية يتخطى إطاره الجغرافي كما يتخطى إطاره السياسي ليصبح إنسانا لا أناس مجردا

إننا لا نفهم أن العالم العربي الإسلامي مجرد بنية سياسية وتنظيم حقوقي وواقع عاطفي وضرورة استراتيجية بل أن العالم العربي الإسلامي في منظور ثورة أول نوفمبر 1954 هو كيان أخلاقي وجداني إنساني وحضارة تقدمها إلى أولئك الذين لا يعبدون الأشخاص ولكنهم يقدرونه حق قدره. إننا نعرف قيمة ما قدمناه في الماضي، كما نعرف ما نقدمه في هذا العصر وما سنقدمه في المستقبل.

إن مفهومنا للحرية، نحن الجزائريين، مفهوم أليف إلى نفوسنا، فنحن نعرف النور لأننا قد عرفنا الظلام ... إن الحرب في الجزائر أثناء الثورة ليست حربا عادية بل حرب من أجل المدنية، أي الحضارة، نعم ليست حرب تحرر جزائرية فقط بل أنها حرب من أجل الحرية.

يقول المفكر والكاتب مالك حداد: "إن علينا أن نبحث عن تعريف الحرية لا في المعاجم بل في منحدرات جبال الأوراس وجبال جرجرة وفي شوارع القصبة في مدينة الجزائر وفي قسنطينة، إن علينا

أن نبحت عن الحرية في هذه الأماكن التي شهدت غضبة الشعب الجزائري، ومن أجلها وقف حصنا منيعا في وجه الاستعمار الذي قام ضدنا، عالم يدعي أنه حر وصاحب حضارة¹.

إن لمفهوم الحرية مضمونا واحدا ومعنى واحدا، أن الجزائري الذي واجه الاستشهاد في سبيل الله يعرف تمام المعرفة لماذا يقبل الاستشهاد كما يعرف تمام المعرفة لماذا يقتل عدوه... ويعرف كذلك لماذا اختار القنابل المحرقة المبيدة بدل أن يختار خيانة وطنه.

لقد عانينا كثيرا من الآلام نحن الجزائريين لحرماننا من الحرية بوصفها شرط أساسي لا غنى عنه لوجود الإنسان لتحقيق كرامته ولاستكمال تحرره وسيادته. فقد كان جلّ الشهداء يعرفون لماذا واجهوا الموت، كما يعرفون أن قدرهم هو الاستشهاد في سبيل الله. يقول مالك حداد: "لقد عرفنا نحن الجزائريين أن الاستعمار يدين نفسه لأنه يحمل في أعماقه أسباب فنائه"².

¹ — مالك حداد: مسألة التعبير لدى الكتاب الجزائريين، (محاضرة أقيمت بالمركز العربي، دمشق، سوريا، جوان 1961).

² — مالك حداد: مصلر نفسه.

ويؤكد لنا كذلك الدكتور علي شريعتي في كتابه "العودة إلى الذات":
"أن أرنست رينان الكاتب الفرنسي كان يقول: "إن الغرب هو جنس أصحاب العمل، وأن الشرق هو جنس الفعلة، ومن هنا فإن الطبيعة تكثر في إعداد جنس الفعلة وتقلل من أعداد جنس أصحاب العمل...، إن للغربي عقلا صناعيا وإداريا خلّاقا للحضارة، أما الشرقي فذو عقل عاطفي متوسط عاجز عن الفكر والنظام والاستنتاج العصري"، وكان موريس توروز رئيس الحزب الشيوعي الفرنسي ومن أبرز الوجوه في الحركة اليسارية يقول: "إن الناس في الجزائر وأفريقيا وشمال أفريقيا ليسوا شعوبا بل إنهم لا يزالون في دورة تكوين، أي أن سيطرة الاستعمار الفرنسي عليها ذات هدف، ولا بد لهؤلاء أن يعيشوا فترة في أحضان الأمبريالية الأم الفاشية ويربوا على يدها من أجل أن يصيروا شعوبا متحضرة" هذا هو فكر السيد الاشتراكي الفرنسي، ثم رأوا كيف أن هذه الأمة الجزائرية نفسها التي كانوا يطلقون عليها اسم الجرذ الصحراوي، كم التغيرات التي أحدثته في الجزائر وفي العالم وفي الوطن العربي بمعجزة الوعي المقترن بالإيمان".¹

¹ - الدكتور علي شريعتي: العودة إلى الذات، مكتب الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط 1، 1986، ص 32.

إن الغرب الاستعماري الأوروبي قد تحدث إلى لعالم الثالث بلغة مزدوجة فهو يخاطب الجنس الأسود قائلا: "إن عقلك لا يمكن أن يصبح متحضرا، فالأجناس في الدنيا صنفان: جنس صنع الحضارة و جنس غير صانع للحضارة، والجنس الذي لا يصنع الحضارة يُستغل لخدمة الجنس صانع الحضارة ويُستبعد له". ومن هنا أنكر على الإفريقي حضارة ماضيه، أمّا بالنسبة لنا نحن الجزائري، فقد مسح ماضينا، والمسح أسوأ من الإنكار....

ومن هذا المنظور توضع مشكلة المفهومية، حيث تثار على المستوى الداخلي لكل بلد من بلدان العالم الثالث. يقول مالك بن نبي: "إننا نملك برنامجا ولكننا لا نملك مفهومية وقد ورثنا نحن الجزائريين الحكم المسبق عن السياسة وهو فصل الفكر عن النشاط بطريقة تظل عاجزة، ويظل الثاني أعمى فاقتدا للبصيرة والبصر. وهناك بلدان تملك سياسة ومع ذلك فهي لا تملك المفهومية وهذا المظهر من شأنه هو عماء البصيرة. فمشكلة الحرية مثلا إنما توضع ضمن هذه الحدود الدقيقة وليس ضمن حدود مجازفة ذلك أن حرية الفرد يمكن أن تكون كلية

دون أن تضر بمصلحة النوع الفردي، ولكن حرية الإنسان لا يمكنها أن تكون مطلقة¹.

وتاريخ الثورة في أي مستوى من الحضارة الذي تمّ إنجازه إنما يمثل النشاط المشترك للأشخاص والأفكار والأشياء. ومن هنا يتعين علينا أن نحلل تاريخ ثورة أول نوفمبر 1954 إلى أجزائها الذرية.

فالنشاط الفردي يمثل ضمن بعض الشروط المعينة "ذرة" من التاريخ... وهو من شأنه يقدم لنا جوابا عن سؤالين هما:
كيف يكون ذلك؟...

لماذا يكون ذلك؟... وكيف تتم الصياغة المرجعية الحضارية للثورة بعد الاستقلال؟...

لقد توصل المجتمع الجزائري للاستقلال بعد ثورة التحرير 1954، حيث التحمت خلالها جميع النشاطات بعد الاستقلال. وقد كانت الأفكار والأشياء أثناء الثورة متكيفة بنفسها توفر النشاطات الفردية

¹ - مالك بن نبي: آفاق جزائرية، مكتبة عمار، القاهرة، 1971، ص 171.

والجامعية "ببواعثها المعللة" ses motivations* بالسلوك المنسجم في ذات الحين "الباعث المعلل" القائم على محور محدد هو الاستقلال أو الاستشهاد في سبيل الله.

فقد تمّ بلوغ الهدف في الوقت الذي فقد فيه النشاط المشترك عندئذ حدث انعزال فردي نتج عنه ظهور النزعات الفردية كقوة أخرى في نفس الحدود.

ويمكن أن نفرد لهذه الميكافيلية النفعية أن الاستعمار قد ارتحل لكنه ترك أنسالة الصغار الذي ما انفكوا يعربون لنا عن وجودهم.

* — (Motivations) — يمكن ترجمتها في حالة الأفراد: "بالباعثية" وفي حالة الجمع: (بالباعثيات).
الباعث المعلل: تيسيرا لفهمها، على أن يُفهم من هذا الاصطلاح هنا نفس التعريف رقم (أ) الذي وضعه له (لا لاند)، أي: (علاقة الفعل بالبواعث التي تفسره أو تبرره):

a - Relation d'un acte au motifs qui l'expliquent ou justifient.

ولا مانع من أن تأخذ بنفس عبارة المصطلح العربي — و لكن في مجال آخر — معنى التعريف رقم (ب) الذي وضعه (لالاند) لنفس المصطلح، أي: (بيان البواعث التي يقوم عليها قرار ما)

B - Expose des motifs sur lesquels repose une décision.

راجع: Vocabulaire technique et critique de: la philosophie par , Andre

Lalande ; 1962.p 658

المفهومية السياسية

تمثل خاصية المفهومية السياسية في ترسيخها لمبدأ الإقرار بالنفس الخاص بالفرد بطريقة تجعله يدرك كيف ينخرط داخل حرية المجتمع ونشاطه المشترك.

وحرية بلد ما يفرض تقييدا للحرية الفردية عن طريق الإكراه السلطوي الذي يقدم مصلحة الدولة على مصلحة الفرد.

وفي هذه الحالة نصل إلى مجتمع عاجز عن التقدم كما كان المجتمع العربي الجاهلي مجتمعا عاجزا عن الاضطلاع لنشاط مشترك وبالتالي محكوم عليه أن يقع على هامش التاريخ.

الوجهة النفسانية لاشكالية المفهومية

ومن الوجهة النفسانية أن خط سير النشاط الشخصي يجب أن يمر بين ذهائين بتعبير مالك بن نبي:
ذهان (الشيء السهل) الذي لا يستدعي أي جهد وهو الشيء الذي يستملينا.

ذهان (الشيء المستحيل) الذي يجعلنا نحكم مسبقاً فوق مستوى وسائلنا مما يفضي بنا إلى الشلل التام، فمفهومية التربية الاجتماعية إنما يتمثل في تبصرها لنا ألا وهي ليس هناك شيء سهل ولا شيء مستحيل وإنما لكل مشكلة واقعها النفساني الحضاري لأن المشكلة في حد ذاتها حضارية، والمشكلة المطروحة علينا هي مشكلة أفكار. يقول مالك بن نبي: "...عندما يتعين الانطلاق من السفر لكل شعب يجب أن يضع تاريخه بوسائله الخاصة وبذاتية".¹

ومن هذه الزاوية المتخذ من قبل الفاتيكان في مجمع روحي في روما، للبحث عن مفهومية مسيحية جديدة يعني تطور الفرد روحياً وتطور الوضعية الدولية التي تنتقل من تطور التسليح الذري إلى تطور التسليح المفاهيمي.

فالمفهومية الألمانية مثلاً قادت المجتمع الألماني إلى تجانس المجتمع ووجهته إلى درب العمل لأن المفهومية عندهم تكمن في الذات التي تعد عمل المجتمع بأسره للنهوض بالأمة وتحديد مصيرها إلى أعلى....

¹ — مالك بن نبي: آفاق جزائرية، مكتبة عمار، القاهرة، 1971، ص 133.

س1: هل يحتفظ المجتمع الجزائري بذاتيته أي بمفهوميته الخاصة به... أم هناك مفاهيم أخرى جربت على هذا المجتمع لوضع جنين الفكرة الغربية أو المادية، من هنا تبدأ مأساة المجتمع مع مصيره وقدره. يحمل المجتمع الوليد المهمة الروحية في أعماق ذاته ضمن الفكرة التي كانت تسوق الأوفياء الأنقياء إلى ميادين البناء فقد كان (عمار بن ياسر) بطل العمل والبناء الحضاري الذي سمع النشيد في غور روحه عندما كان يحمل صخرتين بدل صخرة واحدة لبناء المسجد الأول في الإسلام في المدينة المنورة.

وكان هذا النشيد يقود المجتمع برمته عندما يتعلق الأمر بمصير الأمة لأنه لا ينبعث من العدم أو مجرد ارتحال أدبي أو موسيقي، ولا حتى من حرقه الألم التي يطلقها إنسان جريح، فهذا النشيد أو المفهوميه لا يمكن أن تنبعث إلا من روح المجتمع ذاته.

يقول أحد رواد الفكر السياسي "أحمد سيكوتوري": "ليس يكفي أن تؤلف أغنية ثورية حتى تشارك في الثورة الإفريقية وإنما ينبغي أن تشارك في هذه الثورة مع الشعب ثم تأتي الأغاني من تلقاء ذاتها..." وأضاف قائلا "من أجل أن تؤثر تأثيرا صادقا يجب أن تكون أنت

نفسك جزءا حيا من إفريقيا وليس هناك أي مكان خارج هذه المعركة... الخاصة بالإنسانية المعذبة¹.

وقد أبرز فرانس فانون في كتابه "المعذبون في الأرض" أثر استلاب المستعمر الفرنسي للمجتمع الجزائري، بعد استقرائه لبعض الأمراض النفسية والاجتماعية من خلال دراسته للتشكيلات المختلفة توصل إلى أن للمشكلات النفسية جذور في الواقع الاجتماعي ليعطي بذلك رؤية متكاملة لمعنى الحرية والتحرر في إطارهما الحضاري.

وفي نص الرسالة التي وجهها مالك بن نبي إلى مؤتمر الكتاب الأفارقة خلال انعقاده في روما سنة 1959 قوله: "... إننا نواجه مشكلة حضارية ثقافية لا يمكن أن تتحقق إلا من أجل حضارة وهكذا فإن كل سياسة ونظام إفريقي ينبغي أن يسعى إلى هذه الغاية"².

¹ — أحمد سيكوتوري: وثيقة المؤتمر الثاني للكتاب والمؤلفين الأفارقة-روما، إيطاليا، سنة 1959.

² — مالك بن نبي: نص الرسالة التي وجهها مؤتمر الكتاب الأفارقة بروما، إيطاليا 1959، المهرجان الثقافي الإفريقي الأول المنعقد في الجزائر سنة 1969.

كنا نحن الجزائريين غير معترف بنا ولا معاملين كفرنسيين، ومع ذلك كنا كأكثر ما نكون اعتزازا بذاتيتنا وتعلقا بمقومات شخصيتنا الإسلامية العربية، دين ولغة وتاريخ وجغرافيا رافضين مظاهر الإدماج والمسح ومحاولة الإذابة والسلخ.

فكل سياسة لكي تعرف نفسها كسياسة جزائرية يجب أن تظل وفية لينايبعها الروحية، ولرسالة الشهداء. ذلك أن السياسة التي لا تملك جذورها لا يمكنها أن توفر نشاطات جماعية لأنها تكون عاجزة عن النشاط الفردي وبواعثه المعللة.

وقد نلنا استقلالنا بالدماء والأشلاء من مُتَعَبٍ إلى مستريح وشكوى في الدياجي، طال ليله فطال ويله، وإلى أخ كريم له قد أطلق سراحه وتبلّج على نور الحرية صباحه.

إن لقائنا في هذا المكان والزمان بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ليس لبناء بيتٍ أو تكفين ميتٍ، وإنما هو لقاء علمي أكاديمي لإحياء ثورة أصيلة لها مرجعية إنسانية في حياة الأمم والشعوب.

وأيوم الجمعة عند القانت الأوابُ تقل حركاته وتكثر بركاته. وسلام
عليكم في المؤمنين الصادقين.

﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾
والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.